الأفعال التوجيهية في قصيدة «تفسخ هذا الشباب...» لمفدي زكريا ـ دراسة تداولية ـ

Guidance verbs in the poem «Decomposition of this youth...» by Mufdi Zakaria - A pragmatic study -

شيباني عبد الرحمن*، جامعة سعيدة الدكتور طاهر مولاي (الجزائر)
chibaniabderrahamani14@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/05/01 تاريخ القبول: 2021/05/18 تاريخ النّشر: 2021/06/07

ملخّص

يرمي هذا المقال إلي دراسة أفعال إنجازية توجيهية لبيان مدى التأثير والتأثر لتحقيق عملية التواصل وربطها بواقع جزائري خالص، معتمدا في ذلك على سلطة الخطاب الصادرة من الشاعر مفدي زكريا من خلال قصيدته «تفسخ هذا الشباب...»

وتكشف هذه الدراسة عن ظاهرة لغوية وهي النمط الاستفهامي التوجيهي، وما له من أبعاد تداولية لتحقيق الفائدة من عملية التخاطب. كما نبضت القصيدة بأفعال كلامية وضحت بنية الفعل الكلامي وغرضه وفق هذا النوع من الأنماط الخطابية، وعدّت هذه الأفعال من حيث الدراسة أنها امتداد لعلم المعاني في البلاغة العربية.

الكلمات المفتاحية: الأفعال الكلامية، الأفعال التوجيهية، الأفعال المباشرة، الأفعال غير المباشرة ، القوة الإنجازية، الأغراض الإنجازية.

Abstract

This article aims to study accomplished and directive actions through Mofdi Zakaria's poem entitled "The disintegration of this youth..." to show the extent of influence to achieve the communication process and link it to a Algerian reality, depending on the authority of the speech issued by the poet.

study reveals a linguistic phenomenon, which is the interrogative and directive pattern, and its deliberative dimensions to achieve the benefit of the communication process. The poem also pulsed with verbal actions and clarified the structure and purpose of the verbal action according to this kind of discursive patterns. These verbs are preached in terms of study as an extension of the science of meanings in Arabic rhetoric.

Keywords: verbal verbs, guiding verbs, direct verbs, indirect verbs, achievement power.

* المؤلّف المرسِل

مقدمـــــــة:

تهتم التداولية بدراسة اللغة وما يحيط بها من عناصر التواصل، كما تهتم بالمتكلم ومقاصده ووضعية المخاطب، والظروف الخارجية التي لها علاقة بعملية التّواصل بغية تحقيق الهدف التواصلي بملفوظات واضحة. ولهذه اللغة أسرار يخفيها النّص الشّعري، ممّا يجعلني أدرس قصيدة «تفسخ هذا الشباب...» لمفدي زكريا دراسة تداولية مستنبطا استعمال اللغة فيها، وعملية التّواصل، والبحث عن الفعل الكلامي الإنجازي في عبارات اللغة وتأويلها، لأنّ شعر مفدي زكريا خصب تداوليا، والأفعال الكلامية لديه هي أفعال لها مقصدية ملازمة للتوجيه لا الإخبار فحسب.

موضوع هذه الدراسة يهتم بالجانب التطبيقي لتحليل هذا النص الشعري، فقمت باصطفاء هذه القصيدة من إلياذته لدراسة هذا الأثر دراسة تداولية معاصرة، بحكم أنّ الشاعر عاصر الثورة الجزائرية واكتوى بآلام وظلم المحتل، لأجل ذلك أحاول إبراز معاني تلك المعاناة الوطنية من خلال هذه القصيدة في مشهد صوّره الشاعر أحسن تصوير، مكتفيا بالبحث عن الأفعال الواردة في النص ودراسة أغراضها، مشيرا لعدة تساؤلات: من المتكلم؟ ومن يخاطب؟ وما الحدث الذي يبديه؟ وما زمن ومكان الخطاب؟ وما الغاية المرجوة من الخطاب؟

والإجابة عن هذه الأسئلة، هي أنّ الشاعر مفدي زكريا هو المتكلم، حيث حاولت الدراسة الوقوف على أغراض شعره مقاميا من خلال الخطاب الصادر عن شخصه، وعلاقته بالمخاطب، هذا الأخير هوا لشّباب الجزائري، موضّحا كيفية فهمه لما يريده المتكلم منه بالضبط، لا ما تريده العبارة.أما الحدث الذي يبديه هو الانحلال الخلقي للشباب الجزائري ما بعد الثورة الجزائرية،وخصّت هذه الدراسة ما يراد من الألفاظ غير المنطوقة لاستنتاج الحلول، لأنّ اللغة تسهم في تمكين التفاعل الاجتماعي والتّأثير في الآخرين، وتحقيق التواصل الذي يعتمد عليه الناس في حياتهم اليومية. والغاية المرجوة من هذا الخطاب هو الكشف عن القيمة الخطابية للنص، و الذي نقصد به البحث عن البُعد العلمي.

ودراستي تقتصر على الأفعال الاستفهامية لأنّ الموضوع الذي يعالجه الشاعر يلقى صدى في المجتمع وخاصة لدى القراء، لأنّ الاستفهام أضاف للقصيدة انسجاما داخليا وخارجيا، حيث وظّف خياله الخلّاق للتعبير بصدق عن هذه الظاهرة، فأبدع في الإيحاءات المتوالية في القصيدة.

1. مفهوم الأفعال التوجيهية:

التوجيهيات هي أفعال كلامية لها حمولة توجيهية تجعل المتلقي يبادر بسلوك معيّن في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد بأنماط كلامية، ولذا فهي «محاولة توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل...وتمثلها صيغ الاستفهام والأمر والنهي والرجاء والنصح والتشجيع.»[1] وبهذا يسعى المتكلم إلى توجيه المخاطب لفعل كلامي وِفق معالم المحيط الاجتماعي كي يتمكّن من إنجاح الأفعال الكلامية التي»غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف صيغ الاستفهام، والأمر والنهي والدعوة والتشجيع والنصح والاستعطاف.»[2] في هذه الأفعال يسعى المتكلم إلى جعل المتلقي يقوم بفعل شيء ما، ممّا يدفع بالأفعال التوجيهية إلى مطابقتها للعالم بألفاظ وتراكيب تؤثّر على السامع بأن يقوم بعمل ما، ويكون الإنجاز محقّقا أو غير محقّق.

2. دراسة تطبيقية تداولية لقصيدة «تفسخ هذا الشباب وماعا»:

تَفسَّخَ هذا الشّبـــابُ ومَاعـَا ✤ وخَـرَّبَ أخلاقٌـــــــــهُ وتَداعـَى
فَويلُ الجزائـــــرِ والمسلمين ✤ إذا دَنَّـــس النَّشءُ هَـذي الطِّباعـَا
وكَيفَ يَســـُوسُ البِلادَ غَـبيّ ✤ بَليدٌ أَضَـــــاعَ الضَّمير فَضَاعـَا؟؟
ومَنْ يَطمئِنُّ لأقـــدارِ شَعـــبٍ ✤ إذَا استَخلفَ الشَّعبُ فيها الضّباعَا؟
وكَيـفَ يقـــــومُ بنيانـــُهُ ✤ وتَقويـمُ أخلاقـــــهْ ما استَطاعـَا؟؟
وكيفَ يَصـونُ الأصَالةَ نـشءٌ ✤ وقَـدْ سَاومـــــــوه عَليـهَا فَبَاعـَـا
وكيفَ يُنيرُ الطَّريـقَ شبـــابٌ ✤ وقَد طَمَسَ الرِّجـــسُ فيها الشّعَاعَا؟
وكَيفَ يُداوِي المَريضُ صحيحًا ✤ وفي قَلبه مَـرَضُ السُّـــلِّ شَاعـَا؟
وكَيفَ يُصارعُ مَـوجَ الحيـــاةِ ✤ ومَا اسطاعَ في أَصغـريها الصِّراعـَا؟
هو الخطرُ الجارفُ المستطيـر ✤ فإنْ تُهملـوهُ الـوَداَعَـــا، الـوَدَاعـَا

شَغَلنَا الوَرَى ومَلَأنَا الدُّنَـا
بِشِعـرٍ نُرَتّلُـه كالصّـــــلاة
تَسَابِيحُهُ مِن حَنَايَا الجَزائر[3]

اعتمد الشاعر في هذه القصيدة على نمط تعبيري واحد هو الاستفهام: (كيف يسوس البلاد غبي...؟)، (من يطمئن لأقدار شعب...؟)، (كيف يقوم بنيانه...؟)، (كيف

يصون الأصالة...؟)، (كيف ينير الطريق...؟)،(كيف يداوي المريض...؟)، (وكيف يصارع موج الحياة...؟) كما وظف الشاعر الإحالة الإشارية المكونة من الضمير (هو) ويعني به الشباب،وضمير المتلقين (أنتم) ويقصد أصحاب القرار السياسي في الجزائر بغية تفعيل لغة الإصلاح في المجتمع الجزائري.لقد ابتدأ الشاعر القصيدة بفعل كلامي أكبر وهو فعل (تفسخ) الذي يعد بؤرة القصد لإنجاز الأفعال الكلامية في هذا النص،ثمّ انتقل إلى الوعيد محذرا من التّغاضي عن هذا الانحلال، بعدها وجّه أفعالا كلامية توجيهية تتعلّق بمصير الشباب وكلّها أفعال كلامية صغرى ختمها ببيت شعري يضم فعلا كلاميا أصغر ليؤكد الفعل القضوي، وهو الدعوة لإنقاذ الشباب من وَحلِ الرذيلة، حيث أسهمت الأفعال الكلامية الصغرى في خدمة الفعل الكلامي الكبير للقصيدة.

ثم انتقل الشاعر من النص إلى الواقع ليبيّن صدق المحتوى القضوي بحلّة نفسية حزينة ومؤلمة،جعلته يرفض هذا الواقع بلغة الإصلاح والبناء، وهوما أكّدته توالي الأفعال الكلامية الصغرى.ولتدعيم هـــــذه الأفعال وظف الوصف الذي وضّح صفات الشباب المنحل أخلاقيا، لأن الأوصاف لها ارتباط بحركية الأفعال التي توضح مقصدية الشاعر. إنّها أفعال إنجازية يتوجّه بها الشاعر إلى التأثير في المتلقي «حيث يسعى المتكلم إلى جعل المتلقي يقوم بفعل شيء ما، ممّا يدفع بالأفعال التوجيهية إلى مطابقتها للعالم بألفاظ وتراكيب تؤثر على السامع، وهذا ما جعلنا نكتشف أن هذه القصيدة حدث كلامي يتركب من فعل أدائي الذي يعدّ بؤرة الإنجاز لفعل معيّن عن طريق أفعال إنجازية تالية له.لقد أبدى الشاعر سلسلة من التساؤلات بأفعال كلامية مباشرة ، وهو ينتظر جوابا للاستفهام المتكرر لإثارة قضية اجتماعية محاولا إقناع المتلقين بأسئلة يكون الجواب ذا تأثير يثمّن السؤال المطروح حيث «يسعى المرسل في خطابه إلى تحقيق هدف، والإقناع من أهم الأهداف التي يسعى المرسل إلى تحقيقها في خطابه.وعلاقته بمفهوم السلطة علاقــة جوهرية، فالمرسل الذي يسعى إلى إقناع المرسل إليه، يمارس سلطة عليه، يمكن تسميتها بسلطة الإقناع، وبذلك فالإقناع يجسد السلطة.»[4]

هذه الاستفهامات أنتجت فعلا كلاميا إنجازيا توجيهيا، وتضمنت قوة إنجازية مضمونها إصلاح الشباب الجزائري وإبعاده عن خطر الفساد، وسنوضح ذلك عندما نتطرق إلى الأفعال التوجيهية الاستفهامية الواردة في القصيدة بالتفصيل.

وهذه الأسئلة المتتالية في النّص لا تعني أنّ الشاعر يَخفى عليه ذلك، وإنّما يستفهم ليصلح وينبه وينصح ويبين حقيقة هذا الخطاب، ويتساءل مخاطبا مؤسسات لها علاقة بتوجيه الشباب للحفاظ عليه، ويتساءل عن جدوى ضياعه في مَهمَهِ الفساد.

وعليه استهل الشاعر القصيدة بأفعال تقريرية ففي:

تَفسَّخَ هذا الشّبـــابُ ومَاعـَا ✤ وخَـرَّبَ أخلاقـُـــــــــهُ وتَداعـَـى

الأفعال الكلامية (تفسخ هذا الشباب)،(ماعا)، (خرب أخلاقه)، (تداعى) تحمل فعلا قضويا يتكوّن من فعل إحالي، وفعل إسناد؛ فالفعل الإحالي يضم كل من المتكلم والمخاطب والعبارة والقصد:ففعل القول ظاهر وبيّن وهو فعل (تفسّخ) الذي يحيلنا إلى المتكلم من خلال سياق الجملة إحالة مباشرة، أما المخاطب غير ظاهر، بل هو متوارى خلف ستار السياق، يقودنا الشاعر إليه عبر عملية التأويل ويقصد به مؤسسات الدولة وهو المتضمن في الكلام.

إنّ مفدي زكريا بقصده هذا يبلغ الخطاب إلى وأولي الأمر من ساسة وحكومة والأسرة لإنقاذ الشباب من ستنقع الفساد والهلاك إذا تمادى في انحلاله، حيث يقوم القائمون على شؤون الشباب بتأويل كلام الشاعر ويتفهمون قصده ومرد ذلك «إذا كان هذا الكلام من المتكلم، فإن المخاطب يتم تأويل رده بالوقوف على مقصد الشاعر، ومقتضاه أنه كلام إلا مع وجود القصد.»[5] والفعل الإسنادي أي المحمول في هذه الجملة يحمل صفة التفسّخ إلى صيغة المبالغة على وزن «تفعل» التي يحملها الشباب على عاتقه أي المسند إليه بفعل «تفسّخ» فهو وصف للفعل لغرض ومقصد خاص لإضفاء صفة الانحلال بالموصوف وارتباطه بها.إلى جانب الفعل المحمول نجد تحقق الفعل الإنجازي «تفسّخ» وهو فعل تقريري يمثل حقيقة ما اتّصف به الشباب زمان نظم القصيدة، وما سبقها، فالشباب يعاني مرض الانحلال الخلقي وهو متضمن في القول، وهي ظاهرة اجتماعية تحدث في ظروف معينة حيث نجد الفعل المتضمن في القول «يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية تحكمها ظروف عامة كسياق الحال وغيره.»[6] وقد أفصح الشاعر عن سلوكيات الشباب في الحياة اليومية، ممّا حزّ في نفس الشاعر ممتعضا من فداحة هذه الظاهرة الاجتماعية الدخيلة على مجتمعنا المسلم.

نتج عن هذا الفعل الكلامي فعل تأثيري سعى الشاعر من خلاله إلى إقناع السلطات الجزائرية للبحث عن السبل الكفيلة لتهذيب النشء والتأثير فيه من خلال الوازع الديني الذي هو الملاذ للخروج من المعضلة، ويعد هذا إقرار بالواقع بغية إحداث تغيير في سلوكيات النشء وإحداث تحسينات نحو الفضيلة.

إنّ الأفعال الكلامية (تفسّخ، ماعا، خرّب، تداعى، دنس) هي أفعال يصف بها الشاعر الشباب بملفوظات إخبارية وفق أفعال الكلام عند «سيرل»، وهي أفعال يلتزم بها المتكلم (الشاعر) بالصدق حين يصف الواقع المعبر عنه وهو شرط أكده «سيرل» في

الأفعال التقريرية، وفعلها المتضمن في القول هو إبداء الحسرة والأسى لمصير الشباب الجزائري حين دنّس أخلاقه بأخلاق فاسدة دخيلة على مجتمعه.وأثناء كلامه استعمل الشاعر أيضا الوصـــــف بالإشارة وهذا ما يسمى بـ «التعبير التأشيري» déictique expression باسم الإشارة (هذا)، إشارة إلى الشباب الذي فسدت أخلاقه، وهي إشارة إلى فئة معينة،إشارة مباشرة لأنّ الشاعر قريب من هذا الشباب، يتواصل معه بداعي الاهتمام به والحفاظ عليه فمن» الواضح أن التأشير هو واحد من صيغ الإشارة المرتبطة بسياق الكلام ، مع الأخذ بنظر الاعتبار الفرق الأساس بين التعابير التأشيرية التي تعبر عن حالتي قرب المتكلم وبعيدا عن المتكلم.»[7] إنّه خطاب يوجه أيضا للمجتمع حتى يتم ترشيد الشباب ترشيدا سلميا، ومنه إلى الأسرة التي هي لبنة المجتمع وأساس بنائه وفعل المتضمن في القول هو لب القصيدة، وهذه الجملة الفعلية تبث الحركة فيما أحدثه الشباب من تفسخ. إنّ القصد القول أعطى صفة الفعل وهو الانحلال الخلقي للشباب، وقد يكون الشاعر موفقا في قصد هذا فنذكر أنه «قد يتردد الإنسان في إطلاق صفة الفعل على الشيء إذا لم يكن نتيجة لقصد الفاعل، وعليه فلا يسمى الفعل فعلا ما لم يصحبه القصد.»[8]

فَويلُ الجزائـــــرِوالمسلمين ✤ إذا دَنَّـــس النَّشءُ هَـذي الطِّباعَـا

إنّ الفعل الكلامي (فويل الجزائر والمسلمين) فعل مباشر في صيغته الحرفية حيث ورد للإخبار، والفعل المتضمن في القول هوا لوعيد والتهويل لما سيحل بالجزائر خاصة والمسلمين عامة من تدنيس أبناء الجزائر لأخلاقهم وانغماسهم في الشهوات والملذات، وهو وعد محقق لأن «الوعد الصادق أو غير الصادق، يستلزم دائما التزام القائل.»[9] كما يتفرع عن هذا الفعل فعلا كلاميا وصفيا تقريريا، حيث تتمثل قوته في وصف النشء بصفات لا تليق به أصالة، فهو إنذار بالخطر المحدق به، وما أكد هذه القوة الإنجازية أنّ الأفعال الكلامية وردت على صيغة الوعيد، فإن لم تسارع السلطات فالويل كل الويل لها وللمجتمع، وهنا تتأكد القوة الإنجازية المتضمنة للتحذير والوعيد من خطر مستقبل النشء الذي ينعكس سلبا على البلاد، وهو فعل كلامي ذا قوة انجازية مستلزمة مقاميا .إنّ فعل الوعيد والتهديد هو من صنف الوعديات وفق أفعال «سيرل» التي تحمل المتكلم على الالتزام بفعل شيء ما، وأن يكون القصد من الكلام ملازما لشرط الإخلاص، والفعل الكلامي ذاته يحمل سخطا لما سيحدث في المستقبل لأنّ «قائل الوعد سواء أكان صادقا أم غير صادق يعبر بقوله عن قصد القيام بعمل.»[10] ولتعديل القوة الإنجازية لفعل (الوعيد) استعان الشاعر بمؤشر لغوي (هذي) إشارة قبلية لقرب الشباب من الأخلاق الفاسدة، وتقصيها حيثما وجدت، كما جاءت لفظة

(الطباعا) معرفة لأن الرذائل معلومة لديهم فلا يخفى دبيبها عليهم.

وكَيفَ يَسُوسُ البِلادَ غَبيّ ✤ بَليدٌ أَضَاعَ الضَّميرفَضَاعَا؟؟

برزت في هذا الخطاب أفعال كلامية حرفية صريحة مباشرة (كيف يسوس البلاد غبي)، (أضاع الضمير) نتج عنها فعلا متضمنا في القول وهو (التحقير) أي التحقير من شأن الشباب البليد الذي صار غير قادر على قيادة البلاد، لأنه باع ضميره للأهواء، واتّبع سبل العدوّ في الفساد، وتولّد عنه فعل تقريري يجرّد الشباب من الرجولة والشهامة، كما يتفرّع عن الفعل الكلامي فعلا إنجازيا آخر وهو التحذير من بلادة هذا الشباب الذي باع ضميره، لذا يجب تداركه قبل فوات الأوان.ومن هنا قد يتحدد غرض الفعل الإنجازي الموجه إلى المتلقي ليقدم جوابا لفعل الاستفهام الذي هو من التوجيهات التي تعتبر «محاولة توجيه المخاطب إلى فعل سلوك ما في المستقبل، وشرطها الإرادة والرغبة... وتمثلها صيغ الاستفهام والأمر والنهي والرجاء والتشجيع.»[11]

وتختلف هذه الأفعال فيما بينها حسب القوة الإنجازية، والسياق والمقام الذي يحدث فيه الخطاب، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، فهذه الأفعال تضم صيغة استفهامية طلبية، والاستفهام هنا يقدم قوة إنجازية وظفها الشاعر للاستفهام عنها، وهو محتاج إلى الإجابة عن الاستفهام، والذي يبتغي فرض شيء على متلقيه ليقر استفهاما تقريريا من أجل «الدلالة على أن المستفهم عنه واقع معلوم عند من يتجه إليهم الخطاب»[12] يستفهم ليقرّر، فيذكر ويحذر قصد تحقيق ما يرجوه من خير لأبناء الوطن.هذا الاستفهام يحمل قوة إنجازية أرد الشاعر تحقيقها قصد بها مخاطبة المتلقي للرد عليه بإجابة محددة يفرضها المقتضى الناتج عن الاستفهام.

ومَنْ يَطمئِنُّ لأدارِشَعبٍ ✤ إذَا استَخلفَ الشَّعبُ فيها الضّبَاعَا؟

الفعل الإنجازي هو الجملة الاستفهامية (من يطمئن لأقدار شعب...؟) وهو فعل إنجازي مباشر تتمثل قوته الإنجازية الحرفية في طرح السؤال، وقوته الإنجازية المستلزمة مقاميا هي التحقير ، ومقام العبارة لا يقصد به السؤال ذاته، بل الفعل اللغوي غير المباشر، حيث يقوم الشاعر بالمساءلة لإنتاج فعل كلامي إنجازي إخباري على شكل استفهام يتضمن قوة إنجازية.وهذا الفعل الكلامي الإنجازي الاستفهامي يتضمن معنى في القول هو التحقير والاستخفاف بشباب غير قادر على حماية الشعب إذا كان قدره الضباع من أبنائه، فلا أمان لاستخلافهم على هذا الوطن.والفعل الكلامي (التحقير) له قوة تأثيرية صادمة لما أحدثه هذا الشباب ممثلة في تغيير واقع الشباب والرجوع به إلى دينه الإسلام ويعبر عن ذلك على أنّ»التحدث يقصد به تبادل الأخبار،

وفي الوقت نفسه يهدف إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي.»[13] غرض الشاعر من الفعل الكلامي هو التوضيح، لأنه بحاجة إلى تبيين لما آل إليه الشباب الذي لم يحافظ على أمن بلاده، ومن الواجب عليه أن يكون خلفا لمن سبقه في القيادة وتسيير البلاد.

وكَيفَ يقومُ بنيانُهُ ✤ وتَقويمُ أخلاقهْ ما استَطاعَا؟؟

في هذا الخطاب أفعال كلامية إنجازية حرفية مباشرة (كيف يقوم بنيانه؟)، (تقويم أخلاقه ما استطاعا؟)، بصيغة (كيف) الدال على الاستفهام وهو معنى حرفي، فعله الكلامي المباشر تولد عنه فعلا كلاميا انجازيا غير مباشر وهوالتيئيس، إنه شباب فقد أخلاقه وانسلخ من جلدته وتلذذ بذلك فأنى أن يصلح حاله؟ والاعوجاج فيه بين وواضح.ولتقوية إنجازية فعل (التيئيس) استعمل النفي (ما استطاعا) التي تدل على عجزه في الإصلاح من شأنه، وبالتالي تهاوى أخلاقه وينهار بناؤه، فالمراد من ذلك محاولة الشاعر توجيه المتلقين إلى الالتفاف حول الشباب والتأثير فيه من خلال تقويم أخلاقهم، وشـــــرط الإخلاص متمثل في رغبة الشاعر الصادقة، لأنّ درجة شدة الإنجاز تكمن في تسديد السهم إلى موضوع الأخلاق التي هو أساس استقامته للتخلص من كل اعوجاج.

وكيفَ يَصونُ الأصَالةَ نـشءٌ ✤ وقَدْ سَاوموه عَليـهَا فَبَاعَـا

الأفعال الكلامية (كيف يصون الأصالة نشء؟)، (قد ساوموه)، (فباع) هو خطاب توجيهي مباشر، معناه الحرفي هو الاستفهام عن شباب أسهم في التخلي عن أصالته طواعية واتخذها سلعة تباع وتشترى،حيث يهئ الشاعر المتلقين وهم قادة البلاد إلى اتخاذ ردة فعل أمام هذه الوضعية لأنّ المقام أسهم في أداء وظيفة لغوية، وقد يكون موقف المتلقي سلبيا أو ايجابيا في مقام التغيير من حال الشباب مما يجعل المتلقين يهمون بوظيفة تقويمية، كسنّ قوانين تحمي الشباب، والتهذيب من سلوكياتهم.

إنّ الفعل الإنجاز يهو الجملة الاستفهامية التي تتكون حمولتها الدلالية من قوة انجازية حرفية هي الاستفهام، أمّا القوة الإنجازية المستلزمة وهو التحقير والاستهزاء وهذا ما يوضح تحقق الفعل الإنجازي غير المباشر، لأنّه قد ارتبط بالاستفهام وبميدان استعمال اللغة حيث «يعد استعمال الأسئلة الاستفهامية من الآليات اللغوية التوجيهية، بوصفها توجه المرسل إليه إلى خيار واحد وهو ضرورة الإجابة عليها، ومن ثم فإنّ المرسل يستعملها للسيطرة على مجريات الأحداث.»[14]

وكيفَ يُنيرُ الطَّريـقَ شبـابٌ ✤ وقَد طَمَسَ الرِّجسُ فيها الشّعَاعـَا؟

وردت الأفعال الكلامية بصيغة حرفية (كيف ينير الطريق شباب)، (طمس الرجس فيه الشعاعا) لقد تضمن التركيبان فعلا كلاميا غير مباشر مستلزما مقاميا وهو الحسرة لما آل إليه الشباب، حيث أظلم طريقه بنفسه وافتقد النور الذي يهديه لنهج الاستقامة، فالنور اختفى بفعل الفساد الذي دب في أخلاقه،واتباعه أفكار ورجس المحتل التي لا تمت بصلة لدينه ولاعروبته و لا لعاداته. هذا الفعل الكلامي له قوة إنجازية صريحة بقرينة السؤال (كيف) التي تحولت إلى قوة انجازية مستلزمة مقاميا ممثلة في الحسرة، حيث أسهم المؤشر اللغوي (قد) في تعديل القوة الإنجازية التي دلت على التحقيق والتأكد من واقع الشباب، إلى جانب المؤشر اللغوي ضمير الغائب في شبه الجملة (فيه) الذي أثبت تغلغل الفساد في ذاته، وأكد ذلك الانتقال من الفعل المضارع (ينير) إلى الفعل الماضي (طمس) الذي يبين استحالة أن يرى الشباب النور وقد دنس أصالته بفساد الأخلاق. أفعال الكلام في هذا البيت «ينير، طمس، باعا» هي أفعال القول ، أي كلمات أدلى بها الشاعر للمخاطب، «كيف ينير الطريق..؟» وفعل الإسناد هو الربط بين الشاعر والمتلقي، وهو إسناد الفساد والانحلال الخلقي إلى الشباب، وفعل الإنشاء هو تحقيق المقصود المعبر عنه، ألا وهو التحذير من التفريط في أصالة الشباب الجزائري، أما فعل التأثير هو التأثير في نفوس المتلقين وما يقدمون عليه من خطوات جريئة للتغيير، وهذا التأويل هو الذي ورد في أبحاث «سيرل».

كما استعان الشاعر بقرائن لغوية أخرى هي أدوات الربط الممثلة في حرف العطف (الواو) وحرف الجر (في) للدلالة على الربط بين السلوكيات المعنوية المكتسبة من محيطهم، وتعيين مكان الداء، فهذه الحـــــــروف دلت على حدث لأن «الأدوات كالصيغ قد تستخـــــــدم للتعبير عن الفعل الإنجازي المباشر ضمن سياقات محددة، وقد تستخدم للتعبير عن أفعال إنجازية غير مباشرة يستدل عليها من السياق ولا سيما السياق الاجتماعي، وما يحيط به من عناصر كالعلاقة بين المتكلم والمتلقي وزمن الإنجاز ومكانه.»[15]

وكَيفَ يُداوِي المَريضُ صحيحًا ✤ وفي قَلبه مَـَضُ السُّلِّ شَاعـَا؟

جاءت في هذا الخطاب أفعال كلامية صريحة مباشرة ذات قوة إنجازية تعبر عن القوة الإنجازية الحرفية بقرائن بنيوية (كيف يداوي المريض صحيحا؟)، (وفي قلبه مرض السل شاعا)، حيث تضمن الفعل الكلامي المباشر فعلا كلاميا غير مباشر وهو الإنكار، أنكر على الشباب معالجة من به سقم، لأنّ ذاته مريضة بداء السل المعدي

بحكم أن الأخلاق الفاسدة تنتقل عدواها، فأنّى له القدرة على مداواة أبناء وطنه.بهذا الفعل الكلامي يريد الشاعر تجسيد وتمثيل واقع الشباب الجزائري، فهذا الكلام له تأثير في نفوس المتلقين ليفلت انتباه واهتمام أولي الأمر بالمقصود بلغة مؤثرة تسعى إلى التغيير من حال الشباب وحق القول» إنّما اللغة وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية.»[16]

ولتعديل القوة الإنجازية للفعل الكلامي أضاف الشاعر لفظ(شاعا) إلى الجملة الاسمية لتدل على انتشار مرض السل بشكل ثابت في جسمه بدل انتشار النور في بصيرته وبصره.

وكَيفَ يُصارعُ مَـوجَ الحيـاةِ ✤ ومَا اسطاعَ في أَصغـريهِا الصِّراعَـا؟

ورد في البيت الشعري فعل كلامي مباشر توضحه القوة الإنجازية الحرفية (كيف يصارع موج الحياة؟) بحرف الاستفهام (كيف)، والفعل ذاته متضمن لفعل كلامي غير مباشر وهو الاستحالة، أي استحالة مقاومة هذا الشباب لخطوب الحياة، نافيا عدم تحقيق ذلك سواء بقلبه أو بلسانه، فهو بعيد كل البعد عن الصراع الذي يصنع الرجال.ولتعديل القوة الإنجازية لهذا الفعل (الاستحالة والإنكار) وظف الشاعر مؤشرا لغويا (ما) النافية لعدم استطاعته لذلك، والمثبتة لعجزه سواء بلسانه أو قلبه، وكذا التصغير من قدره المعبّر عنه بالجملة (موج الحياة)فمصارعته موج البحر ضرب من الخيال، فما بالك بمصارعة مصاعب الدنيا؟، ممّا أدى بالسؤال إلى انجاز فعل كلامي ذا قوة استفهامية تطابق القصد من الفعل الكلامي بشكل حرفي وبصيغة الاستفهام، وهذا ما جعل معنى الفعل يتعالق مع تركيب الجملة والوظيفة التبليغية التواصلية، فتحقق تطابق معنيين؛ المعنى الجملي والمعنى القولي، وهذا هو التطابق الذي ذكره «سيرل» في شروط الكلام.

لقد اكتفى الشاعر بأداة استفهام (كيف) لأن المقام يدل على الحال والاهتمام بالشباب والحرص على مستقبله، وأداة الاستفهام في البيت دلت على القوة الإنجازية في معناها الحرفي الظاهر مطابقة لفعل القول حيث «تظل القوة الانجازية الحرفية ملازمة للعبارة، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي مربوطة مقاميا.»[17]

هو الخطرُالجارفُ المستطيـر ✤ فإنْ تُهملـوهُ الـوَداَعَـا، الـوَدَاعَـا

إنّ الفعل الكلامي المباشر الصريح (هو الخطر الجارف) هو فعل للإخبار الذي يتضمن فعل القول وهو التعجب والحيرة، لأن الصفات الواردة في القصيدة إذا توفرت في هذا النوع من الشباب اعتبر خطرا على الأمة يجرف ثوابتها ومقوماتها غير

مبال بمصير أمته. واتجاه المطابقة في هذا الإخبار يصير من الفعل إلى العالم، فقد احتوت القضية إخباريات عن الحال المزري للشباب، لأن الشاعر شاهد حي على هذا الواقع،حيث تأثر نفسيا فأبدى امتعاضه من الواقع المشين. هذا البيت وصف لنا واقع الشباب الجزائري، وأنجز فعلا مقاميا مدركا مقاليا بقرائن بنيوية، ليفيد معنى مجازيا هو التحذير من الخطر المحدق بالشباب، ونعته بأوصاف صادقة مطابقة للواقع، فقد «تكون الأقوال الوصفية صادقة إذا وجدت حالة أشياء للتحقق منها وكاذبة في الحالة المعاكسة.»[18] الشاعر صادق في وصفه لهذا الشباب حيث توفر الفعل الكلامي على شرط الإخلاص في النصح والتوجيه، ولتدعيم القوة الانجازية تدعم الفعل بالضمير الشخصي الغائب (هو) للتأكيد على خطورته، ويشير إليه ويعيّنه دون سواه، والضمير الشخصي ذاته فعل كلامي.ثم أردف الفعل الكلامي بفعل كلامي مباشر آخر (إن تهملوه، الوداع الوداعا) هو أسلوب شرط ختم به القصيدة لأنّ الأشياء تعتبر بخواتيمها، فإنْ لم يتدارك أولي الأمر هذا الشباب فليقيموا عليه مأتما وعويلا، ويجني الساسة الخزي والندامة، حيث يتضمن هذا الفعل فعلا كلاميا غير مباشر وهوا لنصح والتوجيه لأولي الأمر والشّباب معا، وبهذا انتقل أسلوب الشرط من القوة الإنجازية الحرفية إلى القوة الإنجازية المستلزمة مقاميا. ولتدعيم القوة الانجازية وظف الشاعر الجزم بالأداة (إنْ) ليجزم حقيقة تؤرقه هي الخوف على هذا الشباب وعلى مصيره ومصير البلاد.

الخاتمـــــة:

تضمّن النص أغراضا ناتجة عن الأفعال الكلامية الحرفية كالتحذير والحيرة والاستحالة والتحقير كلها أغراض ومقاصد متكاملة اشتملت عليها الأفعال الكلامية في النص وذلك لإنجاز أفعال كلامية أخرى لها مطابقة للواقع، وبهذا نجد الشاعر قد أفصح عن هوية المخاطبين بدءا بضمير المخاطب (الشباب) المعبر عنه بالضمير الجمعي، ثم خاطب الجزائريين والجزائر محذرا من الآثار الناجمة عن تفسخ الشباب، ليبين خطورة الوضع، ثم يعود ليخاطب الشباب بضمير المخاطب المفرد (غبي، قلبه، أصغريه)، ثم يختم خطابه بتوجيه للسلطات العليا في البلاد (إن تهملوه)، ليلقي كامل المسؤولية على مؤسسات الدولة للتكفل بالشباب، وهو فعل شرط، الغرض من فعله الكلامي هو النصح بصفة عامة والتحذير بصفة خاصة، ونرى هناك توسع في خطابه تجاه المتلقين لأخلقة سلوكيات الشباب بشكل يليق به وبدينه ووطنه.إن التساؤلات الواردة في القصيدة أنتجت دلالتين: دلالة استفهامية ظاهرة تحققت في الشكل، ودلالة إخبارية استلزامية تحققت في المضمون، فالشاعر هو المتكلم بمجموعة من الأسئلة ينتظر ردودا وأفعالا واقعية، فهو يثير بهذه التساؤلات المتلقي، منكرالواقع الشباب

بأفعال إنجازية واصفة لسلوكياته السيئة والأفكار الهدامة التي ينتهجها، في سياقات تداولية للأفعال الكلامية الواردة في النص الذي «يضم مجمل المعطيات الاجتماعية والدينية والتاريخية والنفسية التي أسهمت في تنامي إنجازية الفعل الكلامي الكلي»[19] والتي توضح تجربة الشاعر واحتكاكه بالواقع مما جعل الأفعال الإنجازية توطد التواصل الاجتماعي والنفسي والديني والتاريخي.

الهوامـــــش:

(1) نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2008، إربد، الأردن، ص: 102.

(2) محمود أحمد نحلة، آفاق جديـــــــدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط 2002.

(3) مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، تاريخ أمة وقصة شعب، دراسة وشرح: الطاهر مريبعي، دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2009، ص: 84.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد ، بنغازي، ليبيـــــا، ط1، 2004، ص: 242.

(5) المرجع نفســه، ص: 186.

(6) مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص: 60.

(7) جورج يول، ترجمة قصي العتابي، التداولية، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ط1، 2010، ص: 28.

(8) عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة تداوليةلغوية تداولية، بنغازي، ليبيا، ص: 28.

(9) جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف عز الدين المجدوب، المركـــــــــز الوطني للترجمة، تونس، دار ديشرا سيناترا، ط2، 2010، ص: 72.

(10) المرجع نفســـه، ص: 72.

(11) نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، إربد، الأردن، ط 2008، ص: 102.

(12) إبراهيم بن منصور التركي ، البحث البلاغي عند ابن تيمية، نادي القصيم الأدبي، المملكة العربية السعوديـــــة، ط1، 2000، ص: 111.

(13) محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1،

1979، ص: 55.

(14) عبدالهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيـــــــــات الخطاب، مقارنة لغوية تداولية، ط 2004، ص: 352.

(15) علي محمود حجي الصراف، في البرجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، الكويـــــــــت، ط 2010، ص: 15.

(16) جون أوستين، نظرية أفعال الكلام، كيف ننجز الأشيـــــاء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنيني، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1991، ص: 7.

(17) أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغـــــــــرب، ط1، 1993، ص: 21.

(18) جاك موشلار، آن ريبول، القاموس الموســــــــــــوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الأساتذة، ص: 60.

(19) بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، ط1، 2012، ص: 331.